# دور التجار في الحياة العامة في المغرب الأوسط خلال عهد بني مرين (668-876هـ/1269-1472م)

د. ريم محمود محمد راشد ـ قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة طرابلس
reem.rashed1981@gmail.com

**The role of merchants in the public life in the Central Maghreb during the reign of Bani Marin (668-876AH/1269-1472AD)**

**Dr. Reem Mahmoud Mohamed Rashed**
**Associate Professor - Department of History - Faculty of Arts – University of Tripoli**

**Abstract**

The period of Banu Marin rule in central Morocco is considered one of the historical periods that witnessed a prominent economic and social transformation, as merchants clearly contributed to public life during that period, as it can be said that merchants were not just a mere part of the economic movement, Rather they were an active and influential force in the development of social, cultural and political life in the Central Maghreb. Through commercial expansion and their cultural and political influence, they played a pivotal role in ensuring the prosperity of the Marinid society in light of the challenges it faced.

This research deals with the vital role that merchants played in public life in the Central Maghreb during the Beni Marin era, and reflects the importance of merchants as major actors in the economic, social, and political aspects, and how they contributed to shaping the features of society and the state during that period, The Central Maghreb was a strategic region linking Morocco, Andalusia, and sub-Saharan Africa, making it an important commercial center, Central markets such as Tlemcan were a forum for the exchange of goods and information within the framework of a symbiotic relationship.

**الملخّـــص:**

**تعتبر** فترة حكم بنو مـرين في المغرب الأوسط من الفترات التاريخيـة التي عرفت تحولاً اقتصادياً واجتماعياً بارزاً، حيث ساهم التجار بشكل واضح في الحياة العامة خلال تلك الفترة إذ يمكن القول إن التجار لم يكونوا فقط مجرد جزء من الحركة الاقتصادية، بل كانوا قوة فاعلة ومؤثرة في تطور الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في المغرب الأوسط، فمن خلال التوسع التجاري وتأثيرهم الثقافي

والسياسي، كان لهم دور محوري في ضمان ازدهار المجتمع المريني في ظل التحديات التي واجهها.

يتناول هذا البحث الدور الحيوي الذي لعبه التجار في الحياة العامة في المغرب الأوسط خلال عهد بني مرين، ويعكس أهمية التجار كفاعلين رئيسيين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكيف ساهموا في تشكيل ملامح المجتمع والدولة خلال تلك الفترة، فقد كان المغرب الأوسط منطقة استراتيجية تربط بين المغرب والأندلس وأفريقيا جنوب الصحراء مما جعلها مركزاً تجارياً مهماً، فكانت الأسواق المركزية مثل تلمسان ملتقى لتبادل السلع والمعلومات وذلك في إطار العلاقة التكافلية.

**الكلمات المفتاحيـــة:** المغرب الأوسط، التجار، عهد بني مرين، تلمسان، الأسواق، البضائع.

## المقدمـــة:

تُعتبر الدولة المرينية واحدة من الفترات التاريخية الهامة التي شهدها المغرب في العصور الوسطى، وتتميز هذه الفترة بتطورات اقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة، حيث تجسدت في نشاطات التجار التي كانت تلعب دوراً محورياً في الحياة اليومية للسكان، وأثرت بشكل عميق في البنية الاجتماعية والاقتصادية للدولة، وتعد التجارة واحدة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي قامت عليها العديد من المجتمعات في العصور الإسلامية، فقد شكلت ركيزة أساسية لنمو وازدهار المجتمعات، وكان عهد بني مرين في المغرب الأوسط نموذجاً بارزاً لهذا الدور الحيوي، تمثل في هذا العصر بوجود شبكة تجارية نشطة تربط بين المغرب الأوسط ومختلف الدول والمناطق، مما أدى إلى تدفق السلع والثقافات والأفكار، وقد كان للتجار في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة دوراً بارزاً في الحياة العامة من حيث تعزيز الاقتصاد والمشاركة في الأنشطة الثقافية وتأثيرهم في السياسة ولم يكونوا مجرد ناقلين للبضائع بل كانوا سفراء للمعرفة والثقافة حيث أسهموا في تبادل الأفكار والعلوم بين الشرق والغرب.

كانت الدولة المرينية بموقعها الجغرافي الاستراتيجي مركزاً تجارياً هاماً يربط بين أوروبا وأفريقيا، مما جعل التجار يمثلون شرائح اجتماعية متنوعة ومؤثرة في الحياة السياسية والاقتصادية، وقد ساهم هذا النشاط التجاري في تنشيط الحركة الاقتصادية وتبادل الموارد والسلع بين مختلف الثقافات، ما أدي إلى تحقيق عصر من الازدهار والرخاء.

إن دراسة دور التجار في الحياة العامة في المغرب الأوسط خلال عهد بني مرين تمنحنا فهماً أعمق لكيفية تأثير التجارة على التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمنطقة، من خلال التعرف على الأنشطة التجارية، والتحديات التي واجهها التجار، ويمكننا استكشاف الأثر العميق للتجارة على حياة الناس اليومية والتفاعلات الاجتماعية والثقافية.

تتمثل أهمية هذا البحث كونه يسلط الضوء على الدور الذي لعبه التجار في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المغرب الأوسط، وتهدف إلى دراسة تأثير التجارة على الاقتصاد في فترة حكم بني مرين، وتشير إلى دور التجار في توطيد العلاقات الثنائية وفهم دورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية، ولإجراء دراسة حول دور التجار في الحياة العامة في المغرب الأوسط خلال عهد بني مرين(668-876هـ/1269-1472م) تم التركيز على سرد النصوص التاريخية واستخلاص النتائج منها، وتنظيم الأحداث التاريخية وفق تسلسل زمني، مع مراعاة تفاعلاتها السياسية والجغرافية، بالإضافة إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي القائم على مقارنة النصوص واستخلاص النتائج ومحاولة استبعاد الروايات المبالغ فيها، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية وخاتمة للدراسة مع قائمة المصادر والمراجع التي تمت الاستعانة بها:

أولاً ـ التجارة والتجار لغة واصطلاحاً، وثانياً ـ التجارة في الدولة المرينيـــــة، ثالثاً التجار والحياة العامة في الدولة المرينية

**أولاً ـ التجارة والتجار لغة واصطلاحاً:**

**التجارة لغة:** تجر: تَجَرَ يَتْجُرُ تَجْراً وتِجَارَةً؛ بَاعَ وَشَرَى، وَكَذَلِكَ اتَّجَرَ وَهُوَ افْتَعَل والتَّجْرُ : اسمُ لِلْجَمْعِ، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعٌ؛ وأَرضَ مَتْجَرَةٌ: يُتَّجَرُ إِليها؛ وَيُقَالُ: رَبِحَ فلانٌ فِي تِجارَتِهِ إِذا أَفْضَلَ وأَرْبَحَ إِذا صَادَفَ سُوقاً ذاتَ رِبْحٍ[1].

**أما اصطلاحاً:** عرفها العلماء بتعريفات عدة، فقد عرفها الجرجاني: بأنها عبارة عن شِراء شيء ليُباع بالربح[2]، وعرفها ابن خلدون بأنها وسيلة لتنمية المال عن طريق شراء السلع بغرض بيعها بسعر أعلى من سعر الشراء، ويتحقق هذا الأمر إذا تغيرت السوق وارتفعت الأسعار، أو بنقل البضائع إلى أسواق يكون الطلب عليها أعلى وإلى ثمناً، أو يكون ببيعها بثمن أعلى مقابل الدفع المؤجل[3].

**التجار لغة: مصدر** تجر: تَجَرَ يَتْجُرُ تَجْراً وتِجَارَةً؛ بَاعَ وَشَرَى، وَكَذَلِكَ اتَّجَرَ وَهُوَ

افْتَعَل [4] والتاجر الذي يَبيعُ ويَشْتَرِي، وبائِعُ الخَمْرِ، ج: تِجَارُ وتُجَّارُ وتَجْرُ وتُجُرُ، كرِجالٍ وعُمَّالٍ وصَحْبٍ وكُتُبٍ، والحاذِقُ بالأَمْـرِ، والناقَةُ النافِقَةُ في التُّجَّارةِ وفي السُّوقِ[5].

**أما اصطلاحاً:** هو من يمارس الأعمال التُّجَّارية بيعاً وشراء على وجه الاحتراف أي ربح التاجر في تجارته، إن الكلمة العربية تاجر جمعها تجار تتضمن نماذج مختلفة من التجار داخل هذا المجال، إذ يمكنها ان تدل على بائع في تجارة محلية، ولكنها تستعمل أكثر للدلالة على تجار منخرطين في تجارة دولية ولمسافات بعيدة، ويقول ابن خلدون على التاجر "أنه هو الذي يشتري السلع وقت رخصها ثم يبيعها في وقت يرتفع فيها السعر"[6].

تعتبر التجارة أحد العوامل الأساسية في ازدهار الاقتصاد، حيث تلعب دوراً مهماً في تعزيز النشاط التجاري في مختلف المناطق، يتطلب كل نشاط تجاري استراتيجيات خاصة لضمان نجاحه، خاصة في ظل التغيرات المستمرة في الأسواق، كما أن العوامل الجغرافية تلعب دوراً كبيراً في تحديد مسارات التجارة، مما يؤثر على جميع جوانب النشاط التجاري.

كان التجار في عهد بني مرين جزءاً من الطبقات الاجتماعية في المجتمع، ورغم أن التجار كانوا يأتون من طبقات متعددة فأنهم كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع، فقد كان للتجار نفوذ كبير في السياسة، وكانت لديهم علاقات وثيقة مع الحكام في كثير من الأحيان وكانوا يلعبون دوراً سياسياً مهماً من خلال تمويل الحملات العسكرية أو الدعم المالي للحكومة كما أن بعضهم كان يتولى مناصب في الإدارات الحكومية، مما يعكس مدى تأثيرهم في الشؤون السياسية، وفيما يخص تفاعل التجار مع المجتمع المحلي، فقد كانت التجارة ليست فقط وسيلة لكسب الرزق، بل - أيضاً - وسيلة للتبادل الثقافي بين مختلف الشعوب، وكان للتجار دور في نشر المعرفة والأفكار من خلال علاقاتهم مع العلماء والمفكرين في فاس وتلمسان، ويذكر أن التجار ليسوا فقط رجال أعمال، بل كانوا بمثابة جسر بين الثقافات المختلفة جالبين معهم الأفكار والتقنيات من الأندلس والشرق.

لعب النشاط التجاري دوراً هاماً في المبادلات التجارية داخل المغرب الأوسط وخارجه حيث أن القوافل التجارية كانت تعبر الطرق والمسالك التجارية ذاهبة بالصادرات وآتية بمنتوجات أخرى فمثلاً يذكر صاحب الاستبصار حول هذا النشاط

وطرقه إذ يقول في شأن تنس "كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد أفريقية وإلى بلاد المغرب"[7]، كما يضيف ابن حوقل في نفس المدينة إذ يقول "ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة والخارجة والصادرة والواردة"[8]، فمن خلال هذين النصين يُستشف أن الطرق التجارية كانت تستعمل لتسويق المنتجات المحلية إلى الأصقاع المختلفة، إذ كان هذا النشاط التجاري هو المنفذ الوحيد لعيش سكان ومدن وأرياف المغرب الأوسط بحكم امتهانهم وممارستهم للتجارة.

ولم يكن النشاط التجاري مقتصراً على مدينة بعينها، بل أنه يمارس في أغلب مدن المغرب الأوسط، فقد وفر الأمن والاستقرار على الطرق التجارية البحرية والبرية فرصة كبيرة لاستمرار التبادل التجاري بين مختلف المدن والأقاليم[9].

**ثانياً ـ التجارة في عهد بني مرين:**

**1. دولة بنى مرين 591- 957هـ/ 1195- 1550م:** ينتمي المرينيون إلى قبيلة مرين[10]، إحدى قبائل زناتة البربرية، التي كانت تقطن المناطق الممتدة بين فجيج وسجلماسة في المغرب الأقصى، حيث عاشوا حياة قبلية قائمة على الصيد والغارات، واشتهروا بمشاركتهم الفاعلة في الجهاد بالأندلس، حيث قاتلوا إلى جانب المرابطين أولاً، ثم انضموا لاحقاً إلى الموحدين في حروبهم ضد النصارى، وأظهروا بسالة كبيرة في تلك المعارك، وقد لقي زعيمهم محيو بن أبي بكر مصرعه متأثراً بجروح أصيب بها في إحدى المعارك سنة 592هـ/1195م، فخلفه في زعامة القبيلة ابنه عبد الحق الذي استقر بقومه في منطقة الريف شمال المغرب الأقصى[11]، مؤسساً بذلك الدولة المرينية، والتي تُعرف أيضاً بدولة عبد الحق[12]، بلغت الدولة المرينية ذروة قوتها في عهدي السلطان أبي الحسن علي (731–752هـ/ 1331– 1353م) وابنه أبي عنان فارس(752– 759هـ/1351–1358م)، حيث تمكنا –ولو لفترة وجيزة– من توحيد أقاليم المغرب تحت سلطة واحدة، محققين بذلك انتعاشاً سياسياً وعسكرياً بارزاً في تاريخ المنطقة[13].

**2. دور الدولة المرينية في دعم التجار:** أولى سلاطين الدولة المرينية الأوائل اهتماماً خاصاً بالتجارة، وذلك من خلال العديد من الإجراءات التي استهدفت تنشيطها وإزالة ما يعترض سبيلها من معوقات، وأدى ذلك إلى ازدهار حركة التجارة الداخلية والخارجية[14]، وكانت السلطات المالية تعمل على حماية مصالح التجار وأمانهم

وتأمين تنقلهم من مكان إلى آخر، لذا تقربت الجالية المغربية من دائرة الحكام والأغنياء عن طريق المصاهرة، مثل محمد ابن الفقيه الجزولي الذى كان شيخ المغاربة، وكان متزوجاً من بنت عم سلطان السودان[15]، وكانت سياسة المصاهرة متبادلة بين الطرفين، فحرص السودانيون على الزواج من التجار المغاربة، فنجد ملك تمبكتو قد زوج أثنين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما[16]، كما عرفت التجارة الخارجية نوعاً آخر من الشركات يقوم على أساس القرض وذلك عن طريق أن يقدم طرف رأس المال والآخر يشاركه بعمله، ويتقاسمان الربح فيأخذ صاحب المال ¾ الربح والطرف الثاني يأخذ ¼ الأرباح دون المساس برأس المال الأصلي[17] وقد وردت العديد من الأخبار عن هذه الشركات، عن تاجر من سبتة[18] سافر إلى ميورقة[19] ومعه أموال قراض ليتاجر بها وذلك في عام(700-702هـ/1300-1301م)، كما أورد الونشريسي العديد من قضايا القراض، فعن رجل دفع لناس مالاً وأعطاهم سفينة، على أن ينقسم الربح بينهم فيأخذ صاحب المال الثلثين ويأخذ الآخرون الثلث.

**3. أنشــطة الأسواق التجارية:** الأسواق هي مقر بيع وشراء السلع المختلفة، ومختلف أشكال الأنشطة التجارية وكثرة الأسواق في المدينة تعكس قوة النشاط التجاري، كلما زادت الأسواق زاد الإقبال على التبادل التجاري[20]، وتنقسم الأسواق إلى عدة أنواع، منها الأسواق اليومية، وهي الأسواق التي تعمل داخل المدينة بشكل دائم، حيث يتم فيها بيع وشراء مختلف السلع ومن أبرزها سوق مدينة فاس[21] الذي تمت إقامته أثناء مراحل تشييد المدينة فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت، فقد كان لكل نوع من التجارة أو الصناعة سوق عليها مثل سوق الحديد وسوق الخشابين، بالمنتجات الزراعية المختلفة مثل الخضار والفواكه والحبوب[22].

ومنها - أيضاً - الأسواق الأسبوعية، التي تُقام في أيام معينة من الأسبوع تتميز هذه الأسواق بأنها تجذب الزبائن من مختلف المناطق[23]، حيث يتم فيها عرض مجموعة متنوعة من السلع كما أن الأسواق الأسبوعية تُعتبر مكاناً مهماً للتجارة، حيث يتم فيها تبادل المنتجات بشكل نشط ويطلق عليها اسم ذلك اليوم أو المكان الذي تنصب فيه[24]، ومن هذه الأسواق سوق القصر الكبير الذي ينعقد يوم الأثنين[25]، كما شهدت أصيلا[26] سوق يقام يوم الجمعة، وكذلك في أغمات[27] تقام أسواق جامعة حافلة،

حيث ينظم يوم الأحد سوق أغمات الكبير، والذي تعرض فيه السلع المتنوعة وأصناف المتاجر مما يجعله وجهة للتجار والزوار من كل صوب[28].

ومن الجدير بالذكر أن الأسواق تلعب دوراً حيوياً في تعزيز الاقتصاد المحلي، حيث أشار الباحثون إلى أن الأسواق تُعتبر رافداً أساسياً للنمو الاقتصادي، كما أن هناك دراسات أكدت على أهمية الأسواق في دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ولا سبيل للشك أن سلاطين بني مرين حرصوا على توفير الأمن، وجعلوا ذلك هدفاً رئيساً لهم منذُ اضطلاعهم بقيادة زمام الأمور في بلاد المغرب الأقصى، بعد أن عجز الموحدون عن توفير ذلك الأمن، فأصاب البلاد ما أصابها من التدهور والاضطراب[29]، ويؤكد ذلك ابن عذاري فيقول: "فما قدموا عملاً من الأعمال قبل تمهيد البلاد والضرب على أيدي أهل الضرر والفساد، فأمنوا السبل، وسدوا الخلل فاتسعت أحوالهم، وانبسطت آمالهم، فصار أهل تلك البلاد يُعظمونهم غاية الإعظام، ويعاملونهم بالبر والإكرام"[30].

وذكر ابن أبي زرع أن السلطان يعقوب بن عبد الحق عندما فتح مراكش سنة 668 هـ/1269 م "تهدنت البلاد، وصلح أمر العباد، وتأمنت الطرقات، وكثرت الخيرات، وأذعن الناس إلى الطاعة، ودخلوا في الجماعة، فلا ثائر ولا قاطع، ولا مفسد، ولا أفاك ولا مُلحد"[31] وللمحافظة على مبادئ الدولة الجديدة التي ترى الأمن والاستقرار من أهمِ أهدافها؛ توجيه السلطان يعقوب بعد إعلان قيام الدولة بعام واحد سنة 669هـ/1271م، إلى منطقة درعة لمحاربة بعض القبائل العربية التي كانت تُثير الشغب، وتعتدي على الناس والأموال، ونقل هؤلاء العرب إلى مراكش ليكونوا تحتَ رقابة دقيقة من عمال الدولة هناك[32].

تأثرت التجارة بالأحداث التي يمر بها المجتمع سلباً أو إيجاباً، فقد مر المجتمع المريني بالعديد من الأزمات، سواء أكانت سياسية أم كوارث طبيعية، أطلقت عليها النوازل الظواهر الطبيعية التي ليس للإنسان دخل فيها، وهذه الكوارث قد نتج عنها أزمات اقتصادية داخل المجتمع، وهو ما كان له أثر سلبى على النشاط التجاري[33]، وذلك نتيجة لتقلص الإنتاج الاقتصادي للمجتمع خلال تلك الفترات الذي نجم عنه غلاء في الأسعار، الناشئ عن استغلال التجار لتلك الظروف، وهذا ما يعرف باحتكار البضائع، وقد تحدث عن ذلك ابن خلدون فذكر أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم وأنه يعود على فائدته بالتلف والحشرات، وسببه أن الناس لحاجتهم إلى

الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً يأخذه مجاناً ولعله الذى عده الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل، وهذا وإن لم يكن مجاناً فالنفوس متعلقة به لإعطائه ضرورة من غير سعة في القدر فهو كالمكره[34].

وفي سياق حوادث الاحتكار يذكر أنه في زمن السلطان أبي الحسن المريني طالب أبو الحسن المزدغني، خطيب جامع القرويين، بإعادة ثلاثين ألف دينار ذهبية إلى بيت المال، وهي الأموال التي استولى عليها من أموال الأحباس، وقد برر المزدغني ذلك بقوله : "كان لدي محصول وفير كنت أنوي ادخاره حتى يرتفع السعر"، وكان الاحتكار سلوكاً مرفوضاً، حيث كان يُستغل المستهلكون بشكل سيء، لذا نجد أن الفقهاء كانوا يدينون هذه الأفعال ويعارضونها، يقول الونشريسي في هذا الصدد، فيما يتعلق بما لدى الناس من فائض الطعام عند الحاجة وفيمن يرغب في البيع خارج السوق، وفيمن يسعى لشراء القوت بأسعار مرتفعة، فإن المحتكر الذي يحتكر الطعام ويضر الناس في السوق يجب أن يُباع عليهم، ويكون لهم رأس مالهم والربح يُتصرف به بحكمة، وينبغي النهي عن ذلك، ومن يكرر هذا الفعل يُعاقب بالضرب والسجن[35]، وقد اتخذت الدولة العديد من التدابير لمساعدة الناس خلال الأزمات، حتى لا يصبحوا ضحايا للتجار.

**ثالثاً ـ التجار والحياة العامة في الدولة المرينية:**

**1- أنواع التجار في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري:** تنوعت فئات التجار في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري، حيث اختلفت رؤوس الأموال والمستويات الاجتماعية لأصحابها، بالإضافة إلى أساليب استثمارهم، كما أن تباعد مراكز الإنتاج والاستهلاك كان له تأثير كبير، مما استدعى انتقال التجار وفقًا

**2- للظروف التي وفرتها دول المغرب، سواء كانت مشجعة أو مثبطة[36]:** يتم تصنيف التجار في المغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري إلى ثلاث فئات مختلفة وفقاً لقدرتهم على الاستثمار، الفئة الأولى تشمل التجار الذين يستثمرون أقل من مائة دينار في تجارتهم ويعملون بأنفسهم، سواء كانوا مقيمين أو مسافرين، وعادة ما يقوم التاجر المقيم باستئجار محل تجاري لفترة شهرية أو سنوية، أما الفئة الثانية فهي من كانت تستثمر ألف أو خمسمائة أو مائتين أو مائة دينار والفئة الثالثة من كانت تستثمر أكثر من ألف دينار وتقدر الثروة المستثمرة في هذه الحالة بالألوف من الدنانير[37].

إن دور النشاط التجاري لا ينحصر في ميدان التجارة والربط بين المدن فحسب بل تعددت أدواره بعدة أشكال، فإذا أمعنا النظر في مساهمة المسالك والطرق في المغرب الأوسط فأننا نجد أنها كانت دليلاً للرحلات العلمية والجغرافية الاستكشافية التي بفضلها تمكنا من معرفة الخريطة الجغرافية لمدن وأقاليم ومسالك المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ومعرفة الأحوال الاجتماعية لسكانه وقبائله، ونذكر على سبيل المثال من هذه الرحلات رحلة ابن بطوطة، فقد ذكر المدن التي مر بها مع القافلة التي رافقها وهي كالآتي(طنجة، تلمسان مليانة، جزائر بني مزغنة، بجاية، تونس).

**3. دور التجار في دعم الدولة المرينية:** مثلت التجارة أحد الأركان الأساسية للاقتصاد في عهد الدولة المرينية، وقد أولى السلطان يوسف بن يعقوب اهتماماً بالغاً بهذا القطاع لما له من دور فعال في تنشيط الحياة الاقتصادية، وتعزيز العلاقات الخارجية، وفي سبيل تنظيم النشاط التجاري اتخذ السلطان يوسف جملة من الإجراءات الإصلاحية من أبرزها إلغاء العديد من الرسوم والرتب والتي كانت تفرض على المسافرين في الطرقات والنقاط البرية، ورفع نظام الانزال على بيوت الرعية –وهو النظام الذي كان يلزم السكان باستضافة الجنود والمسافرين- وفي سياق تأمين الطرق التجارية شن السلطان حملة على عرب المعقل بصحراء درعة نظراً لتهديدهم أمن القوافل وقطعهم للطريق[38] وخلال حصاره لمدينة تلمسان أصدر أوامر صارمة تمنع التجار من تزويد المدينة بالمؤن، كما عمل على تنظيم شؤون التجار داخلياً فعين بينهم رؤساء يُعرفون بالأمناء[39] وأسند إليهم الإشراف على النشاط التجاري، في حين تولى أمناء الموانئ خاصة من تجار تطوان[40] مسؤولية تنظيم التبادل التجاري البحري. وكان بمدن فاس وشالة مراكز نشطة للأسواق التجارية، وقد أسس السلطان يوسف بمدينة المنصور سوقاً كبيراً جذب إليه التجار من مختلف البلدان، وعلى صعيد العلاقات التجارية الخارجية شهد عهده انفتاحاً ملحوظاً تجسد في استقبال وفود من ممالك أوروبية مثل إسبانيا وبيونة(692هـ/1292م)، حيث طُلب منه تصدير الحبوب المغربية، ما دفعه إلى تحديد أسعارها دون فرض ضرائب استجابة للطلب المتزايد عليها[41].

كما أقام المرينيون علاقات تجارية متينة مع سلطنة برنو، حيث صدروا إليها الجلود والصوف، والمنسوجات والملح، واستوردوا منها الذهب[42]، ويُعد برناط سالارن أحد

جنود الجيش المريني نموذجاً للتداخل بين العمل العسكري والتجاري، إذ عمل قنصلاً للتجار النصارى لدى السلطان يوسف، وامتدت العلاقات التجارية إلى تبادل الهدايا مع دولة المماليك في مصر والحفصيين في إفريقية، وجمهورية جنوة الإيطالية، وأشراف مكة، مما يعكس مدى الحيوية التي بلغتها الحركة التجارية، وقد تنوعت طرق التجارة بين البر والبحر، فمدينة فاس بحكم موقعها الجغرافي كانت تشرف على طرق القوافل التجارية البرية بالمغرب[43]، التي تمر عبر تازة[44] وصولاً إلى تلمسان[45]، حيث كانت الإبل هي الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر هذه الطرق أما البحر الأبيض المتوسط فقد مثّل المنفذ البحري الأهم لتبادل السلع بين المرينيين والدول الأوروبية[46].

**3. دور التجار في العلاقات الخارجية للدولة المرينية:** تميز العصر المريني بشيء في غاية الأهمية، وهو ارتباط التجارة البحرية بالتجارة الصحراوية، وذلك من خلال هذه الشركات التي عملت على تيسير حركة التجارة، وخير مثال على ذلك شركة المقري التجارية التي لها باع طويل في هذا المجال، فكان أبو بكر بن يحي بن عبد الرحمن المقري له أربعة إخوة اشتركوا جميعاً في تأسيس شركة تجارية مقرها تلمسان، ولها فروع في جنوب الصحراء، ولكى يضمنوا سلامة هذه الشركة ونجاحها عملوا على تمهيد الطرق الصحراوية وحفر الآبار على طول الطريق كما عملوا على تأمين التجار، واتخذوا طبلاً للرحيل وراية تقدم عند المسير، وكان الإخوة الأربعة يوجدون في مراكز الشركة، فكان محمد وأبو بكر في تلمسان، وعبد الرحمن في سجلماسة[47]، وعبد الواحد في فرع الشركة بأبو الأتن، واستقر بها وتزوج من أهلها، وكان له دار هناك، وجرى نظام العمل في الشركة على نحو ترسل فيه السلع المجلوبة من الموانئ البحرية الخارجية من تلمسان إلى السودان، ويرسل بدلاً منها السلع السودانية، مثل الجلد والتبر والعاج والذهب، وكان المقيم في سجلماسة يقوم بدور المراقب على المكسب والخسارة ويكتب عن أحوال التجارة ومعطيات السوق واحتياجاته[48].

وقد نشط العديد من التجار المغاربة في هذا المجال، أمثال القائد دحمان الذى ورث الزعامة عن والده، وكان له تجارة مشهود لها تتردد بين مالي ومراكش[49]، وقد ترك لنا ابن بطوطة العديد من أسماء التجار الذين رافقوه أثناء رحلته إلى بلاد السودان،

منهم التاجر التلمساني الذى يعرف بالحاج زيان وتاجر آخر يعرف بأبي بكر بن يعقوب[50].

كانت الدولة المرينية تعول على التجارة الخارجية مع دول الحوض الغربي للبحر المتوسط، بفضل المعاهدات والشركات التي كانت تربطهم ببعض التجار المسيحيين، فقد كانت الدولة تشرف مباشرة على تصدير بعض السلع مثل الجلود والحبوب باعتبارهما أهم المواد التي ظلت طيلة العصر الإسلامي تشكل ثوابت في صادرات المغرب، كما شكلت الضرائب الجمركية أهم مورد مادي للبلاد خلال تلك الفترة، لأن مداخيلها كانت مرتفعة، وكانت سهلة التحصيل مقارنة مع الضرائب الفلاحية[51]، ويذكر بعض الباحثين أن دول أوربا الغربية المطلة على البحر المتوسط كانت تستورد من المغرب الخيول والحديد والصوف والقطن والكتان والنسيج والتمر والعنب اليابس والعسل والحبوب والذهب والصمغ وكان المغرب يستورد الأرز من البلاد الأوربية[52]، والفضة من سردانية والأندلس[53]، والآلات الحديدية والسكاكين والأمقاص والأحواض الرخامية من الأندلس[54]، كما استورد المغرب الورق الإفرنجي، فالمنتوج المغربي من هذه المادة كان يحتل المراتب الأخيرة أمام الورق البغدادي والمصري والشامي[55].

**4. العلاقة بين النشاط التجاري والثقافة في الدولة المرينية**: تتداخل التجارة مع الثقافة بشكل كبير، إذ كانت معظم المراكز التجارية تُعتبر أيضاً مراكز ثقافية بارزة في المجتمعات، وقد أسهمت القوافل التجارية في نقل الحضارات بين هذه المجتمعات، ومن بين هذه المراكز تبرز مدن فاس وتلمسان وتونس والإسكندرية وتمبكتو وغيرها، وكان هناك عدد كبير من العلماء الذين انخرطوا في مجال التجارة، حيث اتخذوها مهنة لهم وافتتحوا حوانيت في قيساريات المدن[56] عمل بعضهم كتجار للحرير، بينما انشغل آخرون بمجموعة متنوعة من المهن التجارية، مثل تسفير الكتب، وصناعة الورق والخياطة[57] ولعب العلماء والفقهاء دوراً بارزاً في دعم التجار، حيث تصدوا للسلطات المرينية من أجل تخفيف الأعباء الضريبية التي كانت تثقل كاهلهم[58].

كما أسهم التطور العلمي الذي شهدته تلك الفترة بشكل مباشر في تعزيز التجارة، حيث قدم البحث العلمي العديد من الاختراعات التي ساعدت على تطور التجارة الخارجية، من بين هذه الاختراعات، كانت رسوم الخرائط التي سهلت الملاحة في البحار [59]، بالإضافة إلى الخرائط التي رسمت الطرق المؤدية إلى السودان

الغربي[60]، مما ساهم في تسهيل حركة التجارة بفضل هذه الخرائط، تعرفت أوروبا على ثروات السودان الغربي.

كان لاختراع البوصلة أيضاً دور كبير في مساعدة التجار على تحديد الاتجاهات الصحيحة وتقليل الأخطاء في الملاحة، مما ساهم في تقليل تعرض السفن لهجمات القراصنة[61] بالإضافة إلى ذلك، ساهم اختراع الإسطرلاب في حل العديد من المشكلات، مثل تحديد الوقت ورصد النجوم[62].

أسهمت القوافل التجارية والتجار في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في المجتمعات الأخرى من خلال التواصل بين التجار المغاربة ونظرائهم من دول مختلفة، كما حدث في غرب السودان[63]، وعبر تنقلاتهم إلى بلدان غير إسلامية مثل الصين والهند والسودان نقلوا معهم تعاليم الدين الإسلامي، مما ساعد على استقرارهم في تلك المجتمعات وبالتالي ساهم في تعزيز الدين الإسلامي وانتشار اللغة العربية. بالإضافة إلى ذلك، لعب التجار دورًا في نقل العديد من مظاهر الحضارة المغربية، خاصة في مجال التجارة، إلى الدول التي زاروها، مثل تقنيات الزراعة وبعض الصناعات بالإضافة إلى المكاييل والمقاييس[64].

## الخاتمة:-

يخلص البحث إلى أن التجار في المغرب الأوسط خلال فترة حكم بني مرين لم يكونوا مجرد فاعلين اقتصاديين، بل لعبوا أدواراً اجتماعية وسياسية عميقة أثرت في تطور المجتمع والدولة، وكانوا بمثابة جسر يربط بين الثقافات والحضارات، وساهموا في تعزيز الاستقرار والازدهار في المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك تنوعت السلع المتبادلة بدءاً من المواد الأساسية مثل الحبوب والتوابل وصولاً إلى السلع الكمالية مثل الحرير والمجوهرات، ولم يكن التجار في الدولة المرينية مجرد عناصر اقتصادية، بل كانوا حلقة وصل بين الثقافات والمعارف، وأثروا بشكل كبير على الحياة الاجتماعية والسياسية في تلك الدولة.

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأبعاد المختلفة لحياة التجار وكيف ساهمت تجارتهم في تشكيل ملامح الهوية المرينية، وأسهمت في النهضة الثقافية والعلمية التي تميزت بها تلك الفترة.

وقد أوصت الدراسة بالتالي:-

- إجراء دراسات إضافية حول أدوار التجار في الفترات اللاحقة.

– التركيز على الأرشيفات المحلية والعربية للحصول على فهم أعمق لدور التجار في التاريخ المغربي.

– إحياء التراث التجاري: من المهم العمل على إحياء التراث التجاري من خلال تنظيم معارض وندوات تعكس تاريخ التجارة في المغرب الأوسط، مما يساهم في تعزيز الهوية الثقافية للمغرب.

## الهوامـــــــــش :

(1) ابن منظور(ت711هـ)، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، 1993، ص89.

(2) الجرجاني(ت816هـ)، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص53.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد(ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، دار الفكر، بيروت، 2001، ص494.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص89.

(5) الفيروز آبادي(ت817هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005، ص356، والسوق بضم السين هو موضع البياعات التي يتعامل فيها، وهي تذكر وتؤنث والجمع أسواق، وأصل اشتقاق السوق من سّوق الناس بضائعهم إليها، وكلمة السوق تطلق على كل مكان يتم فيه البيع والشراء بين الناس، ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص167، أحمد بن يوسف الدرويش أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي، عالم الكتب، الرياض، 1989، ص 21-25.

(6) ابن خلدون، العبر، ج1، ص494.

(7) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص133.

(8) ابن حوقل(397هـ)، أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض، مطبعة ليدن، 1938، ص77.

(9) مصطفى كامل الشباني، النشاط التجاري في المغرب الأوسط وأثره في تطور الحركة التجارية، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية بغداد، ع24، 2021، ص278.

(10) الدولة المرينية: نسبة إلى مرين الذي ينتسب إلى فرع من فروع قبيلة زناتة، سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004، ص171.

(11) محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص80.

(12) ابن أبي زرع(741هـ)، أبو الحسن علي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط 1972م، ص30.

(13) محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية، ص82.
(14) خليل جليل القيسي، الإنجازات الحضارية لدولة بني مرين في المغرب الأقصى، مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية، مج19، ع79، بغداد، 2013، ص323.
(15) ابن بطوطة(ت779هـ)، محمد بن عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة، ج2، دار إحياء العلوم، بيروت 1987، ص695.
(16) الحسن بن محمد الوزان، وصف أفريقيا، ج1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1983، ص166.
(17) محمد الشريف، سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، منشورات جمعية تطاون الرباط، ط2، 2006 ص69.
(18) سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية، ياقوت الحموي(626هـ)، شهاب الدين بن عبد الله معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت، 1977 ص182.
(19) مِيُورقة، أكبر جزر الأندلس بالبحر الرومي، جزائر البليار الآن، ويُنسَب إليها أبو الحسن الميورقي الشاعر الأديب المتوفى سنة 477هـ وتوفي فيها أبو محمد بن حمديس الشاعر سنة 725هـ، أمين واصف، الفهرست هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص83.
(20) بان علي محمد البياتي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3-5هـ/ 9-11م، بغداد، 2004 ص94.
(21) فاس، بالسين المهملة، بلفظ فاس النجار: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجّل مدنه قبل أن تختط مراكش، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص230.
(22) هالة عبد الرازق، أسواق فاس العصر المريني 646- 769هـ/1248- 1465م، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2013، ص73-80.
(23) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988 ص227.
(24) خالد بلعربي، الأسواق في المغرب العربي خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد6، ديسمبر 2009، ص32.
(25) محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص227.
(26) أصيلا، مدينة صغيرة وما بقي منها الآن إلا جزء يسير وفي أرضها أسواق قريبة وأزيلا هذه -ويقال أصيلا- عليها سور وهي متعلقة على رأس الخليج المسمى بالزقاق وشرب أهلها من مياه الآبار، الإدريسي(ت560هـ) محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 ص530.
(27) أغمات، وهي مدينتان سهليّتان إحداهما تسمّى أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة، وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجّار والغرباء، وأغمات إيلان لا يسكنها غريب، وبينهما ثمانية أميال، ولها نهر لطيف جريته من القبلة إلى الجوف ماؤه زعاق يقال له تاقيروت وحولها بساتين ونخل كثير، وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة في قصور وديار، البكري(ت487هـ)، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز المسالك والممالك، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص338، 339.

(28) عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994، ص100.
(29) ابن خلدون، العبر، ج7، ص233.
(30) ابن عذارى(ت نحو 695هـ)، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص352.
(31) ابن أبى زرع(ت741هـ) أبو الحسن علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور الرباط، 1972م، ص307.
(32) ابن أبى زرع، الأنيس المطرب، ص307.
(33) رضوان البارودى، الكوارث الطبيعية في الأندلس دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية، 2007م، ص395.
(34) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2001، ص321.
(35) الونشريسي(ت914هـ)، أحمد بن يحيى بن محمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج6، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981 ص425.
(36) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، 1983، ص278.
(37) عز الدين عمر موسي، المرجع السابق، ص279.
(38) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص375، 378.
(39) نضال مؤيد الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-607هـ/1286-1306م دراسة تاريخية كلية التربية، جامعة الموصل، 2004، ص108.
(40) تقع مدينة تطوان شمال شرق المغرب جنوبي سبتة، وتبعد عن مدينة طنجة في الشمال أيضاً بحوالي 60 كيلو متراً، تشتهر بكثرة عيونها وفواكهها واسمها مشتق من كلمة تيط ومعناها بالبربرية عين، أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية 1968، ص407.
(41) نضال الأعرجي، الدولة المرينية، ص108.
(42) أحمد بن عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974، ص100.
(43) نضال الأعرجي، الدولة المرينية، ص109.
(44) تازة: قاعدة إقليم تازة، وهي تقع شمال شرق المغرب بين الريف والأطلس الأوسط، وهي مركز زراعي مهم، وموقع حربي، وبها جامع يعود إلى عهد الموحدين، يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ص212.
(45) تِلِمْسَان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام، وكانت تعرف بتلمس في لغة البربر وللمدينة شهرة تاريخية كبيرة كما كانت من أهم أسواق المنطقة التجارية، ياقوت الحموي معجم البلدان، ج2، ص44، محمد كمال شبانة: الدويلات الإسلامية، ص134.
(46) الفشتالي(ت1031هـ)، أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم ج2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972، ص129.
(47) سجلماسة: مدينة على نهر يقال له زيز وليس بها عين ولا بئر وبينها وبين البحر عدة مراحل، وأهل سجلماسة أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة وزرعهم الدخن والذرة وزرعهم

على الأمطار لقلة المياه عندهم فإن لم يمطروا لم يكن لهم زرع، اليعقوبي(ت 284هـ) أحمد بن إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية بيروت، 2002، ص198.
(48) ابن الخطيب(776هـ)، لسان الدين أبو عبد الله محمد، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، 2002 ص116-118.
(49) الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت، 2001، ص138.
(50) ابن بطوطة، الرحلة، ج2، ص689، 704.
(51) محمد عيد أحمد وآخرون، مظاهر تدهور النشاط التجاري خلال العصر المريني الثاني، مجلة الدراسات الأفريقية، مج44، ع3، يوليو 2022، ص255.
(52) محمد المنوني، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1964، ص16.
(53) محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000 ص144.
(54) محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(610–869هـ/ 1213- 1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص295.
(55) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991، ص58.
(56) عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ج2، دار الكتب العربية، الرباط، 1963، ص84.
(57) ابن قنفد(ت810هـ)، أبى العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، 1965، ص77.
(58) رشيد السلامى، رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 ص517.
(59) ميرتي كوميز، الخرائط في أواخر العصور الوسطى، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط امبراطوريات، تر: حاتم الطحاوي، مكتبة الإسكندرية، 2007، ص216.
(60) إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص87-89.
(61) ميرتى كوميز، المرجع السابق، ص220.
(62) ابن القاضي(ت1025هـ)، أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973، ص404.
(63) الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص42.
(64) سمر عبد الحليم عبد المعز، تجارة الدولة المرينية، د. ن، الإسكندرية، 2019، ص203.